في نور محمّد فاطمة الزهراء

الناس، كريمان على ا، كأعظم ما تكون الأقدار عندما ترتفع أسجاف[277] الأسرار، وتتفتح أبواب الغيب أمام الأبصار في هذه الحياة، وكأكرم ما تكون عندما يعرض، من بعد، أصحاب الأقدار على ا. ولا مغالاة، فالثمرة بنت الشجرة، وعن الفروع تنبئ الأصول. * * * وكانت الشجرة ثابتة الجذور، فاستوت على الساق، وطالت الفروع، واخضرّت الأوراق، وكانت طيّبة، فزكا النَوْر، وتضوّع[278] الزهر، وينعت الثمار. فما يختلف ماء الجدول العذب عن ماء ينبوعه إلاّ َ بقدر يسير إن كان لابدّ من تباين واختلاف، وما يخلو غد الناس من آثار ماضيهم، ومن بصمات حاضرهم، وكلّها ـ لا محالة ـ جارية في قابلهم القريب اللصيق، والبعيد العريق، جريان الدم في عروق الأجسام، وما تغيب تماماً من مخايل الأخلاف سمات الأسلاف. وكيف لا يرى المرء في تربّي الطفولة بتلك الدار القائمة بجوار بيت ا شبهاً من هنا وشبهاً من هناك للملامح المعنوية للآباء والأجداد، فضلاً عن المظاهر المادية للأبدان والأجساد؟ فأمّا السمات العضوية فلا عليها تعويل، إن هي إلا كقشور، بل هي كدهان ... وأمّا السمات النفسية فأبقى على الزمان، جواهر وألباب، كالدماء تجري ـ كلّها أو بعضها ـ في شرايين الأجيال، إلى الذراري تنتقل من البطون والأصلاب، إلى الآباء من الأجداد، إلى الأبناء من الآباء، فإلى الأحفاد وأحفاد الأحفاد. عادةً عن طريق الوراثة، غالباً عن طريق التلقين، أحياناً عن طريق الامتثال. * * *